مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 11 عدد: 3 السنة: 2022
ص: 125 - 143 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

الخطاب الديني والفكر السانسيموني في رواية الديوان الإسبرطي

The Religious Discourse and Saint–saimonians Thoughts in the Novel of the "Spartan Diwan

نور الدين خنيش[1] * / بلخامسة كريمة[2]

Noreddine Kheniche[1] / Belkhamsa Karima[2]

مخبر تحليل الخطاب

جامعة مولود معمري تيزي وزو (الجزائر)

Mouloud mammeri tizi Ouzou University Algeria

noureddine.kheniche@ummto.dz[1] belkhamsakarima@yahoo.fr[2]

تاريخ الإرسال: 2022/02/26	تاريخ القبول: 2022/05/26	تاريخ النشر: 2022/09/02

ملخص البحث

يسعى هذا البحث إلى فهم الثنائية الدينية والفكرية المبثوثة في شخصيات رواية الديوان الإسبرطي، وما تحاول كل شخصية الدفاع عنه وتوضيحه، من خلال طرح الأفكار والأحداث الدينية الحاصلة خلال الحملة الفرنسية، والمقاومة العثمانية الجزائرية له.

نستخرج من النص ثلاث شخصيات مهمة: الموالية للعثمانيين، والمهتمة بشؤون المحروسة ومستقبلها، والمتعلقة بالإمبراطورية المسيحية، لترتبط عملية السّرد بالصراع الديني بين الإسلام باعتباره منظومة حكم، والمسيحية كوافد جديد على المحروسة تحاول طمس المعالم الفكرية والهياكل الإسلامية، لنعمل في دراستنا هذه على اكتشاف كينونة الجزائري الخالية من الإيديولوجيا.

لنخلص في النهاية إلى فكرة التعايش الإنساني بين الفرنسيين والجزائريين تحت راية واحدة معتنقين الفكر السّان سيموني من خلال شخصية توماس إسماعيل.

الكلمات المفتاح: رواية معاصرة، ديني، عثماني، كينونة، سانسيموني.

Abstract:

This paper seeks to illuminate the religious and intellectual transmitted in the characters of the "Spartan Diwan" novel and what each character tries to defend and

* خنيش نورالدين: noureddine.kheniche@ummto.dz

explain through presenting religious ideas and events that occurred during the French colonization, and the Ottoman-Algerian resistance.

We decipher, from the text, three kinds of characters: who showed loyalty to the Ottomans, to the guarded, and to the Christian Empire.

This will more likely a link between the narrative process and the religious conflict between Islam as a system of government, and Christianity as a new service to the guarded, as it tries to blur Islamic intellectual features and structures.

Finally, the text brings us to the idea of human coexistence between the French and Algerians under one banner of the intellect San Simone through the character of Thomas Ismail.

Keywords: modern novel, religious, ottoman, being, Saint-saimonians

توطئة:

ارتبط تاريخ كل أمة بموقعها الجغرافي الذي يحدد مصيرها التاريخي في كل الأحداث المفصلية من تاريخ الأرض، وقد أُجمع على أن الديانات السماوية هي القلب النابض لسيرورة الأحداث على وجه المعمورة، إذا بحثنا عن أهم منطقة مقدسة دينيا، ستتوجه بنا كل المصادر التاريخية إلى القدس، وإلى شبه الجزيرة العربية، مرورا بمصر، لتنطلق الديانات السماوية في رحلة توسّعية لحشد أكبر عدد من المؤمنين في شمال إفريقيا، وتقطع البحر الأبيض المتوسط وصولا إلى أوروبا؛ هذا هو المسار الجغرافي الذي اتخذته الفتوحات الإسلامية لتستقر بالمدينة المفقودة؛ الأندلس. وبعد مرور قرون على هذه الأحداث، يتفطن كُتَّابُ الرواية في الجزائر لمرحلة تاريخيّة غامضة من تاريخ الجزائر؛ كُتبت هذه الروايات انطلاقا من أسئلة راهنة حول أهمية الفترة العثمانية لتاريخ الجزائر، في محاولة منهم لملء الفجوة في تاريخ أمة الجزائر.

اعتمدنا في دراستنا هذه على رواية الديوان الإسبرطي، من أجل فهم أعمق للبعد الديني والفكر الإنساني في النّصوص السّردية الخاصة بالتاريخ العثماني في الجزائر، ومنه قمنا بطرح الإشكالية الآتية:

كيف تشكّلت صورة الخطاب الديني في رواية الديوان الإسبرطي؟ وما مدى تجلي البُعديْن الديني والفكري في الرواية؟ وهل نجحت رواية الديوان الإسبرطي في معالجة الكينونة الدينية مع قضية الحروب الصليبية والفتوحات الإسلامية من وجهة نظر جزائرية؟ وما هي الأبعاد الفكرية التي تضمرها رواية الديوان الإسبرطي بتوظيف الفكر السانسيموني؟

أولا/ الفكر الديني والكينونة:

تثير العودة إلى المرحلة العثمانية من التاريخ الجزائري أسئلة مهمة، إذْ يجد الروائي نفسه مرتبطا بالدين والحروب الصليبية التي كانت تمتاز بها تلك الفترة، ويبعث الكاتب بناءً على هذا الأساس شخصيات مشحونة بالفكر الديني في حوارها وتحركاتها داخل الفضاء السّردي، ويُصبح الدين هاجسا لتلك الشخصية وللأمة التي تعيش فيها. تعتبر رواية الديوان الإسبرطي رواية بوليفونية تتعدد فيها الأصوات والإيديولوجيات؛ إذ نجد شخصية تدافع عن الإسلام في المحروسة، وأخرى تتبنى المسيحية دينا، وتتخذ محاربة المحمديين الذين لن يَغفُلوا لحظة للسيطرة على سفينة صليبية، أو قارب صيد، لا يحمل راية الإسلام أن يصير هدفا لهم. إن هذه الثنائية الدينية المتصارعة من أجل كينونتها، يوظفها الروائي لسرد تاريخ أمّة عاشت أهم فترة تاريخية لحرب الدّيانات؛ فقد كانت ساحة حرب للقضاء على كينونة أمة أخرى. وفي خضم هذا الصراع بين القطبيين، اضمحلت كينونة هؤلاء الذين كانوا يشكلون منطقة صراع، غير أننا نجد صوتهم حاضرا في السّرد التاريخي العثماني الجزائري؛ إنها الجمالية الفريدة التي منحت هؤلاء صوتا. يقول ماركس:« لا يفعل التاريخ شيئا من نشاطه الشخصي يخلق الإنسان نفسه في التاريخ؛ يصبح إنسانا كاملا عندما يخفض الجهد للحفاظ على نفسه من خلال العمل إلى الحدّ الأدنى، وعندما يتغلب على الأناني وعندما يرتبط بالآخرين بلا أنانية، عندما يحقق استقلالا ناجزا عن أي سلطة خارجه عندما يصبح ثريّا لأنه يملك الكثير بل هو نفسه كثيرٌ »[1]. وفْق هذه المقولة يتبين لنا بأن التاريخ هو الإنسان في حركته، وهو في هذه الحالة يحقق كينونته؛ يقصد هذا الأخير بالكينونة 'الوعي الحر الفعال'، الذي يعتبره ماركس "طبع النوع"[2]. إن هذا المفهوم يتجلى بوضوح لدى شخصيّات الرّواية المدروسة، فكل شخصية تمتلك كينونة؛ أي أنها حرة وفعالة من دون أي ضغوط وعلامات تجبرها على أن تكون كذلك، إن الوعي الحّر والفعال يعني أن يكون الشخص هو نفسه صانع فاعليته؛ أي أنه ليس فعّالا بفعل إكراه داخلي أو خارجي، وتعني الفاعلية الواعية أن الفاعل يعرف جيدا ما يفعله ولا يعمل بفعل قوى تدفعه من الوراء، هنا نعرف ما المقصود بقوله:« 'طبع النوع' 'إنه الإنسان غير الأناني، المرتبط مع الآخرين ويشعر بتضامنه معهم»[3]. إننا نجد شخصيات في النص السّردي المتناول ينطبق عليها مفهوم طبع النوع للكينونة؛ وهي شخصية الصحفي 'ديبون' نجد أيضا شخصية تحاول بعث كينونتها الحقيقية، ولقد ألزمها الضعف الكبح من كينونتها الأصلية، وغالبا ما توظف هذه الشخصيات على أنها مقاومة ومتمردة لأي سلطة كانت؛ مثل شخصية حمة السّلاوي، كما جاء في كتاب حول الدين« إن الدين هو وعي الذات والشعور بالذات

لدى الإنسان الذي لم يجد بعد ذاته، أو الذي فقدها »[4]. فالشخصيات الموظّفة في النص السردي المدروس تحمل همّا أيديولوجيا من أجل السيطرة على الآخر والتحكم به، وما يُغذّي هذا القلق هو الدين الذي حرّك السّفن للحرب يقول ديبون:« الكل كان يريد المشاركة في حملة الجزائر، حتى القسّ رأيته متشبثا بالقائد العام، تتلاحق أنفاسه بالكلمات: حُلمي يا سيدي القائد الانضمام إلى زمرة هؤلاء المباركين الذين يُعلون شأن المسيح من مكاني داخل العربة كان همسه ـ وهو يوزع البركات على الجنود ـ يصلني ولم يحمل الجنود إلا القليل من بركاته »[5]. يعتبر القُّس رمزا دينيا لدى المسيحيين، وقد بارك للقائد العام حملته على الجزائر، وشحن جنودها بحافز الصليب؛ إنهم جنود المسيح الذين سيهزمون المحمديين، وسيغنمون أرضا جديدة، فالقس هنا يبعث كينونة المسيح في الجنود الذين سيحاربون نيابة عنه من منظور أسمى وهو الدين.

نفهم أن المسيحية والبابا كينونة مهددة من قِبَل الإسلام، الذي يطلَق على أصحابه في النص السّردي بالمحمديّين، وعندما يكون الإنسان المسيحي في موضع قوّة، فإنه يهجم على من هم أقل قوة منه« نظر الإنسان إلى ذاته، فوعى وجود كينونته؛ ثم عرف أنه فاعل وأنه بحاجة إلى أشياء مختلفة وهكذا، اخترع غاياته ' بشكل مستقل'، وكانت الغايات أهم شيء عنده لأنها سمحت له بتفسير فعل كل ما هو قادر على الفعل وجد الآن في الدنيا نظاما ـ فكل شيء مرتبط بالإنسان ذاته وعن طريق مقارنته لذاته بالفاعلين الآخرين، استطاع أن يتصور بأنه يفهم أكثر »[6]. فالإنسان هو المهدّد الأول بفكرة التفوق الديني أو توسعة المجال الجغرافي نتيجة الحروب الواقعة باسم الدين.

كان التاريخ العثماني الجزائري في حركيّة مستمرة، من الإغارة والهجمات الصليبية، نتيجة لرغبة العثمانيين في التوسع بجهود الجزائريين؛ إذ يقول هيجل إنّ« الإنسان هو حقا في ذاته إنسان حرّ لكن الأفارقة والأسيويين ليسوا أحرارا، لأنهم ليس لهم الوعي بكونهم أحراراً، أي ليس لهم الوعي بمفهوم الإنسان ما هو وحينئذ فينبغي أن ننظر إلى الدين كما هو في خاصيتهم »[7]. إن ما نقرأه في رواية الديوان الإسبرطي على وجه الخصوص، هو فكرة وجود شعب يسيطر عليه العثمانيون، والحملة الفرنسية ما هي إلا منقذ مؤقت لهذا الإنسان الإفريقي الذي تم الاستلاء على حريته باسم الدين، فهو خاضع لا يعرف حقيقة إنسانيته، فالمعروف أن تاريخنا يرتبط بطريقة مباشرة بالأمة القوية التي تسيطر علينا، وسرعان ما يتقهقر الإنسان الأصلي ويصبح تابعا أو فارا للجبال، وقد جاء على لسان شخصية حمّة السّلاوي« كانوا يتهمونني مثلما اتهمني الأتراك، أنّني أدعو الناس للثورة عليهم، غير أن أهل المحروسة خانعون منذ سنواتٍ

كانوا يطأطئون رؤوسهم ويتجنبون الأتراك في الشّوارع، المدينة تجعل الناس أكثر جبنا وتقبلا للغزاة، ألم يفرَّ الموسرون ما إن رأوا طلائع الجيش تعبر الأبواب؟ لم أر أحدا منهم في سيدي فرج، وفي انحدارنا إلى سطاوالي سمعنا أن بعضهم غادر المدينة ليلا »[8]. حمة السّلاوي إنه المتمرد الفّار من الفرنسيين، كما كان يفرُّ من العثمانيين متّمردا باحثاً عن« الحرية، هذا الاسم الرهيب المكتوب على مركبة العواصف هي في مبدأ الثورات كلها، بدونها تتراءى العدالة للعصاة غير قابلة للتصور ومع ذلك ثمة وقت يحل تتطلب العدالة فيه إيقاف الحرية، حينئذ يُتَوِجُ الإرهاب الثورة بسيطا كان أم كبيرا، كل تمرد حنين إلى البراءة ونزوع إلى الكينونة »[9]. وعلى مستوى الشخصية نجد أن استحضار حمّة السلاوي بمختلف مركباته المتمردة والمحبة، هو استحضار لتلك الكينونة النقية الخالية من الأيديولوجيات، والتي تتوسط الصراع الفكري والديني في الرواية إذ« يُعتبر تاريخ البشر بوجه ما، مجموع تمرداتهم المتتالية »[10]. إذًا، فشخصية حمّة السلاوي هي نقطة الارتكاز في الرواية، لأنها شخصية تمثل هذا الإنسان الناقم على الوجودَيْن العثماني والفرنسي؛ وبتعبير آخر شخصية هذا الأخير هي الكينونة الحقيقية للإنسان الجزائري. يقول هيدغر:« إن الكينونة هي في كلّ مرة كينونة كائن ما، وإن جملة الكائنات يمكن أن تصبح بحسب جهاتها المختلفة حقلا صالحا لتسريح مجالات مادية معينة وتحديدها فهذه المجالات، مثل التاريخ والطبيعة والمكان والحياة والكيان واللغة وهلّم جرّا »[11]. من موقعنا الجغرافي ولغاتنا المتعددة وتاريخنا تكوّن عديد من الشخصيات لدى الجزائري؛ وبسبب تعاقب الغزاة عليه نقول بجزائريته، بالرغم من ارتباطه العاطفي بكينونة أخرى، غير أنه يتشارك معنا نفس الحيز الجغرافي، وقد صَوّرته رواية الديوان الإسبرطي متمثّلاً في شخصية حمّة السلاوي، على أنه متعلق بالمحروسة، غير أنه يفضل العثمانيين على الفرنسيين، يفسر هشام جعيط ذلك بقوله إنه:« على المستوى السياسي، كان الإسلام ممثلا بالإمبراطورية العثمانية، العربي يتلاشى من الأفق الأوروبي بينما الإسلام التركي يتكامل فيه، من هنا نشأت علاقات دنيوية واسعة تخضع خصوصا للعقلانية الدبلوماسية ...وحتى عندما طرد الإسبان الغرناطيين، بعد معركة من أكبر انتفاضات التاريخ من أجل الهوية، فإن المقصود كان مشكلة ولاء سياسي بقدر ما كان عملية مواجهة بين الحضارات وأمام صلابة وقوة الإمبراطورية التركية، كانت أوروبا تبدو هشة »[12]. إنّ الكينونة التي يُلبِسها الروائي لشخصياته لا بد أن تخضع للمسة سياسية دينية، تعبّر عن الواقع المعيش في تلك الفترة فقراءة التاريخ الخام من الكتب التاريخية يكون دائما من جانب واحد؛ أي أننا نمارس عملية القراءة في ثوب الضحية.

يفسر هشام جعيط فكرة مقابلة الإسلام للمسيحية يقول:« أن أوروبا العادية والمصغرة حالياً لا يمكن مقارنتها إلا بالعالم العربي، أما أوروبا كثقافة تاريخية وحضارة كبرى، فتجد مثيلها في الإسلام الكبير، جماعة وحضارة »[13]. يتضح لنا تمويه الوجود العثماني بالدين الإسلامي، والوجود الفرنسي بهدمه للمساجد وغيرها من المؤسسات المتعلقة بالعثمانيين، لهذا نجد بأن الفرنسين قد جلبوا معهم أفكارهم الحضارية المسيحية. وفي المقابل سمعنا صوت الإسلام في النص السردي كنقيض لها، باعتبار الإسلام سّدا منيعا في وجه الإبادة الحضارية والدينية المسيحية، ويتضح هذا على لسان كافيار إذ يقول:« كم كانت مخزية تلك الوثيقة التي وقّعها القائد بورمون مع الباشا، ما الذي جعله يمنحهم كل تلك المزايا؟ المساجد والزوايا مزايا لم تكن لتمنح لمسيحي آمن في عرض المتوسط »[14]. يظهر البعد العثماني في السيطرة الدينية على المحروسة، فقد بيّن النّص أن الباشا وقّع اتفاقية مع القائد تقضي باحترام الزوايا والمساجد في معاهدة الاستسلام. ويرى كافيار أن هذه المزايا ما كانت لتُعْطَى لأيّ مسيحي، ولم يقل فرنسي أو حتى أوروبي، هذا ما يؤكد المقولة السابقة أن الحضارة يجب أن تواجه بالحضارة، والتي هي الإسلام لا الدولة العثمانية التي هُزمت. فالشخصيات التي تدافع عن الأوروبي والعثماني هي شخصيات غير واعية بكينونتها؛ أي يمكنها أن تأخذ تعاليم المسيحية أو الإسلام على حدٍّ سواء من دون طرف ثالث، وهم الغزاة الذين يستعبدون الشعوب باسم تعاليم الدين. يقول كافيار مؤكدا:« لو كُنْتَ صيّادا فإنهم لن يتركوك، حتى سفينة البابا لن تسلم منهم إن صادفوها »[15]. إن مصطلح البابا بمفهومه المسيحي ومرتبته في سُلَمِ الديانة المسيحية، والذي يجرُ خلفه أمةً لن تسلم سفينته من العثمانيين، هذا ما يُفَسِّر حَجْمَ العداوة التي يُكِنُّها كلا الطرفين بعضهم لبعض.

يبرز لنا تفوق الدين على السياسة في هذا النص غير أنه تفوق ضروري من أجل حشد أكبر عدد من الجماهير يقول ديكسون وايت:« ولكن بأي شيء استطاع الإنسان أن يحتفظ بخضوع عقلية الفرد لشعور الجماعة؟ هنالك في معتقداته الدينية وَجَدَ الإنسان القوة التي استقوى بها على عقليته الفردية فأخضعها لقوة إحساسه بالشريعة الأدبية أما وظيفة تلك المعتقدات فتجهزها الفردية بقوة نفسية تسوقه إلى الخضوع لمجموعة من آداب السلوك ومبادئ من الأخلاق تُبقي عقليته واقعة تحت الإحساس بواجباته الأدبية »[16]؛ فالدين هو المبرر للإنسان ليطبق أفكار الهيمنة في المجتمعات الخارجية.

الدين -إذاً- مرتبط أساسا بفكرة البقاء والدفاع من أجله، لأنه غالبا ما يتلقى صدمة في بداياته، ويواجه الرفض وعدم الإذعان من الناس منذ ولادته، وكذلك وجود نقيض مخالف له هو ما أنتج فكرة أن

كل ديانة مستهدفة من طائفة أخرى تقّرُ بفكرة دينية مخالفة، لتُستَغل هذه الديانات فيما بعد لتحصيل المال والسلطة كما يقول كافيار:« يصرّ ديبون على الدفاع عن هؤلاء، مثلما يلجأ إلى مسيحه الشخصي ليحاججني أيها البائس حتى البابا نفسه لم يعد يؤمن بالمسيح الذي تؤمن به من أجل سلطة المال تحولت الأديان إلى أقنعة هؤلاء الأتراك المحمديون كانوا يأخذون أموالنا ثم يستعبدوننا، هذا إن لم نُقتل ثم يقولون أن الله أمرهم بذلك هذا هو الربّ الذي صار الجميع يؤمن به في أوروبا و إفريقية »[17]. هنا تتجلى فكرة المسيحي المؤمن، والمسيحي الذي يدرك حقيقة زيف تديّن القادة الذين يستغلونه في تحقيق سلطانهم، ومضاعفة ثرواتهم.

يرسخ كافيار في نظرته للعثمانيين بأنهم محمديون ويقول أبو القاسم سعد الله بأن كل القيادات العثمانية في الجزائر كانت خليطا من الأجناس "فالصفة الموحدة للوجق إذن هي العثمانية وليست التركية ذلك أن الوجق كان فيه أناس من أناضوليا ومن روميليا ومن الأقاليم العربية والصقلية واللاتينية والإغريقية، وهلم جرا "[18] هذا الإختلاف العرقي ما سمح له أن يتجانس في أرض أجنبية اسمها الجزائر هي العقيدة الإسلامية يضيف أبو القاسم" فالرابطة بين هذه العناصر من جهة ثم بينها وبين الجزائريين من جهة أخرى هي الإسلام والخلافة، أو العقيدة الإسلامية ثم الولاء للسلطان، ويجمع بين هذين المبدأين الرابطة العثمانية، ولكن الحكام العثمانيين لم يحترموا هذا المبدأ كما سنرى (فتركوا) (بتشديد الراء)الحكم ونظروا للجزائريين نظرة الغالب للمغلوب"[19] إن الكينونة الدينية التي اكتسبها العثمانيون المتمثلة في الدين الإسلامي جمعت بين الشتات العثماني في السلطة لكنها لم تشفع للجزائريين أنفسهم أن يتعايشوا معهم لأنهم يحتكرون القوة والسلطة، ففي ملاحظة غريبة يمكن للمسلم الذي لا يملك السلطة أن يحارب من أجل دينه ولكنه يعتبر عبدا أو عدّوا بينه وبين سلطته، هذا ما دفع بنا لنفكر في طبيعة الوجود العثماني وتوظيفه للدين من أجل سلطة الخلافة "باسم العقيدة الإسلامية والولاء للسلطان، دخل الجزائريون أيضا في الرابطة العثمانية وكان المفروض أن يطبق الحكام العثمانيون تعاليم الإسلام في الحكم، وأن يؤاخوا بينهم وبين السكان وأن يشاوروهم في الأمر وأن يفسحوا المجال أمامهم، وأن يختلطوا بهم ويخالطوهم، ولكنهم في الواقع أساؤوا التصرف، كمعظم الحكام عندئذ فحكموا كفئة متميزة واحتكروا الحكم في أيديهم طيلة الفترة العثمانية واستبدوا بالسلطة واستذلوا السكان واستعلوا عليهم وعاملوهم معاملة المنتصر للمهزوم"[20] في اعتقادنا أن هذه الحقائق التاريخية التي يقول بها أبو القاسم سعد الله هي التي دفعت بالروائي عبد

الوهاب عيساوي إلى توظيف شخصية حمّة السلاوي الشخصية الجزائرية المتمردة والتي تُعتبر هي لسان حال الجزائريين الذين استبّد بهم الحكم العثماني وأذلهم بالرغم من الاستنجاد به.

يرى مولود قاسم نايت بلقاسم في نقطة الهجمات الأوروبية وارتباطها بدافع ديني يقول "لقد شنت الدول الأوروبية –ثم أمريكا فيما بعد – حملات متواصلة وغارات صليبية متوالية على الجزائر، ابتداء من الغارة على المرسى الكبير يوم 23 أكتوبر 1505م، التي انتهت إلى الاحتلال الفرنسي للعاصمة يوم 05 يوليو 1830م وتكفي نظرة خاطفة على قائمتها، التي تعطي فكرة فقط، وليست مستقصية، ليتصور الإنسان مدى ذلك الحقد الصليبي، وذلك الحنق المتكالب من جميع الدول الأوروبية، ثم أمريكا نفسها بجميع مذاهب تلك الدول في إطار النصرانية، من كاثوليكية، وبروتستانتية، وأرثدوكسية، وما أكثر ما كانت تتعاون علينا بدفع من البابا "[21] إن ما يقرّه المؤرخون هو ذلك التصادم الديني بين الإسلام والمسيحية وذلك الخوف الذي يهدد البابا والخليفة المسلم، على كينونتهما السياسية والدينية، إذ يقول حمة السّلاوي عن الدين في ذهن سكان المحروسة " أهل المحروسة مهزومون على الدّوام ومُتخاذلون، يجعلون الدّين حُجّة يتصبّرون بها، ويُطأطئون رؤوسهم إيمانًا، ثم يهمسون: إنه مكتوبٌ من الله، سندعو يوم الجُمعة ليرفع الله عنا الغَبن، ويهزِم أعداءَنا، أردت الصراخ عند أبواب المساجد: أيها المصلّون، أين كنتم يوم كُنا في سيدي فرج وسطاوالي الناس يحتَمون من ضُعفهم، ومن خذلانهم، ومن بوار تجارتهم، ومن ظُلم الأتراك، ومن خيانة زوجاتهم، ومن عقوق أولادهم، ومن كل الأشياء التي تنهكهم يحتمون بالله"[22] تقول الشخصية بأن الدين يعتبر عائقا نفسيا أمام سكان المحروسة ما تسبب في خمول كينونتهم لأطراف خارجية سيطرت عليهم وهم الأتراك هذا الخمول الذي لم يسمح لهم بالثورة على جور الأتراك ولا على الفرنسيين حسب ما تقوله شخصية حمة السلاوي" يعتقدون أن الله منعهم المطر، وأصابهم بالوباء والقحط، لأنهم لا يصلّون كفايةً، ولا يزكّون من أموالهم، ويشرب بعضهم الخمر خفيةً وربما يسرف التجّار منهم، ولكنهم لم يفكروا يوما في الثورة على جور الأتراك"[23] إن هذا الوهن راجع لمفهوم الدين الذي جاء به العثمانيون ما دفع سكان المحروسة لرؤيتهم على أنهم جنود الله في أرضه، ويقول الأستاذ بنيامين كيد صاحب كتاب التطور الاجتماعي" يرجع ذلك إلى اعتقاد ثابت راسخ في روع الشعوب منذ نشأتها، أن حيازة القوة والانتفاع بثمراتها هو المبدأ الذي يجب أن تعمد إليه الأمم إذا ما شاءت أن تحتفظ بكيانها، غير أن هذا الكائن الناطق الذي خرج من جوف الأزمان الأولى وبيده آلات الحرب والتخريب كان ذا عقيدة دينية "[24] ما كان السكان المحليون بحاجة إليه هي القوة أكثر من الدين لأن هذا الأخير جاء لهم من قبل ولكن

ضعفهم أدى بهم إلى طلب النجدة التي كانت مرحلة ذّل جديدة لشعب الجزائر بعد أن تحولت أرضه لحلبة صراع يثبت فيها الآخر كيانه على حساب الجزائري فكتب التاريخ تحمل كيانين الجزائري باعتباره عثماني والعكس أي تمزجهما بمعنى وجود العثماني من قوة الجزائري وكيان الأعداء الصليبين وأستثني هنا أبو القاسم سعد الله في كتابه التاريخ الثقافي للجزائر الذي بين الفرق بين العثماني والجزائري أما في رواية الديوان الإسبرطي بالذات تناولت الرواية كل الحركات الأيديولوجية في تلك الفترة التي كانت تدافع فيها عن كينونتها.

تطرقت الرواية إلى البابوية التي ميّزت فترة احتلال الجزائر تعبيرا عن هواجس دينية توسعية لتأسيس إمبراطورية البابا "ولكي تدعم البابوية مركزها إزاء الدولة الإمبراطورية عملت على صياغة ايديولوجيا سياسية دينية تستمد منها الشرعية الإلهية، ومن عناصر هذه الأيديولوجيا البابوية ما يطلق عليه اسم نظرية الوحدة وهي نظرية تقرر أن العالم المسيحي أمة واحدة، لها دين واحد هو الدين المسيحي على مذهب روما الكاثوليكي والكاثوليكية معناها: العالمية ولها لغة واحدة اللاتينية وكنيسة واحدة هي كنيسة روما، وحكومة موحدة هي التي على رأسها البابا"[25] بالرغم من تناقض الفكر الديني بين شخصية، ابن ميار الذي يدافع عن العثمانيين والإسلام وكافيار الذي يعتبر مهندسا لحملة الصليبين الفرنسية على الجزائر، إلاّ أن الروائي منح صوتا هاما جدا لحمّة السّلاوي، الذي يريد أن تعود الجزائر لأهلها نتيجة للعبودية التي يعيشها الجزائري في بلاده بدوافع دينية، وهذا ما قاله في السابق غير أننا لمحنا إشارة في نص الرواية تدعوا إلى إبعاد الدين واستبداله بالمعاملة الإنسانية، لكي تنتهي هذه الحروب وتتوقف العبودية.

تجلى هذا في شخصية تاريخية أدخلها الروائي في نهاية النص يقال عنها بأنها حاولت ربط العالم الشرقي بالعالم الغربي محاولةً تحقيق التوازن السياسي والديني بين المسيحيين والمسلمين بعد وصفٍ له في النص السردي حيث تعرفت عليه شخصية ديبون في أحد المقاهي "

- لم تفصح لي عن هويتك بعد يا سيدي
- أتحبُّ أن تعرفني بإسماعيل أم بتوماس؟
- وهل هناك فرق؟
- نعم كانت هناك فروق ولكنها الآن غير موجودة.
- كيف؟
- كنت توماس المسيحي، ثم أصبحت إسماعيل المسلم دون المروق عن مسيحيتي"[26]

يعتبر هذا الحوار الحاصل في المقهى نقطة فاصلة لذلك الصراع الديني القائم، فالسّرد هنا يأخذ منحا جديدا نحو طائفة فكرية تحاول بناء جزائر تجمع الفرنسيين والجزائريين لتخمد بذلك الحرب العقائدية وتقود تغييرا فكريا للقادة المحتلين للجزائر بهدف البقاء لأطول مدة.

ثانيا/ الفكر السّانسيموني في الجزائر:

استنزفت فرنسا كل قدراتها الحربية وخططها في سبيل إخضاع الجزائريين وترويضهم لهذا كان الإنسان الجزائري شبيها بفأر التجارب للمنظرين الفرنسين من أجل اكتشاف بروتوكولات جديدة للسّيطرة عليه وإخضاعه، "فهذا فيكتور هيغو يقول عن احتلال الجزائر: إنها الحضارة ضد البربرية، أنه شعب (الفرنسيون) متنوّر وجد شعب (الجزائريين) في الظلام نحن يونانيو العالم وعلى عاتقنا تقع مسؤولية تنوير العالم"[27] ما يقوله هيغو يتمثل في رؤية المثقف الأوروبي لاحتلال الجزائر على أنها عملية تستحق العناء من أجل نشر الحضارة في شمال إفريقيا لشعوب لا تعرف كيف تتطور، ولقد لاحظنا في المبحث الأول أن الحملة الفرنسية على الجزائر كانت صليبية ضد العثمانيين باعتبار أنهم محمديون، أي ما يرسخ لدينا بروز معالم صراع وجودي من أجل إبراز الكينونة الدينية.

بعد الهزيمة ونزولهم بالجزائر أصبح لدى الفرنسيين مهمة جديدة وهي كسب ثقة الجزائريين للتّعمق في الجزائر بأقل الأضرار ولهذا بدأ المستعمر في العمل على ترويض الإنسان وقد جاء في كتاب الماركسيون والدين هاته المقولة التي تعنى بالإنسان "سيتقد الانسان بنفسه، ويصبح أكثر صفاء، وحيوية وعلما، لقد حاول نيتشه وسارتر، في الواقع، أن يجعلا من الإنسان إلها، مع كل ما يتضمن ذلك من تحديف بحق الإله المخلوع عن عرشه"[28] نفهم من هذه المقولة الفلسفية الغربية أن الفرنسيين يحاولون تطبيق كلام فلاسفتهم بالاهتمام بالجانب الإنساني إخماداً لشعلة الدّين لدى الفرد الجزائري الأمر الذي أدركته رواية الديوان الإسبرطي من خلال توظيف كاتبها لشخصية توماس إسماعيل الذي التقى ديبون في المقهى وأعطاه جريدة ورحل يعتبر توماس أوروبان شخصية تاريخية قامت بالتنظير للعديد من الخطط الاستعمارية التقدمية، غير أن هذه الخطط دائما ما كانت محل جدل لدى المهتمين بالتاريخ، فهو يعتبر رسول السّان سيمونيين في الجزائر يعرفه محمد صاحبي يقول: "تعتبر السانسيمونية « saint-simonisme » مذهب يُنسب إلى الفيلسوف الفرنسي « Claude Henri de saint-Simon "(1825/1760م) إلا أنه تأسس من طرف تلامذته ومحبيه ولقد كان هذا المذهب الفلسفي والسياسي الذي حمل لواء بـــ' الاشتراكية والطوباوية ' فيما بعد، بمثابة الدين الجديد في أوساط الفئات المثقفة

بفرنسا"[29] ما فهمناه أن هذه الطائفة جاءت بفكر جديد يضاهي الفكر التحرري والفلسفي المتواجد في الساحة حتى أصبح منافسا له، كما تتكون فاعليته من أفكار تستهدف النضال من أجل البشرية، لإنجاز مشاريع كبرى لشعوب الهامش ويضيف أبو القاسم سعد الله أنها تهدف لإقامة" مجتمع يسوده العدل والنظام والانسجام، عن طريق التشارك والعمل الجماعي الذي يؤدي بدوره إلى التشارك في الثروة والرّبح عن طريق حماية الدولة"[30] قد نعتبر هذه الطائفة حاملا لفكر وسط بين المسلمين الجزائريين الذين كانوا تحت الوصاية العثمانية، ثم فجأة وجدوا أنفسهم أمام استعمار صليبي، يحاول أن يجذب الجزائريين نحوه، وقد تكفل بهذه المهمة توماس إسماعيل أوروبان يقول في حوار له مع شخصية ديبون"

–أملي في هذه الحياة كلها إيصال الجسر بين هوّتي الشرق والغرب

–أرى كلامك غامضا يا سيد توماس أو إسماعيل

–لا يهم يا سيد ديبون أن أكون إسماعيل أو توماس، أو حتى مسيحيّا أو مسلمًا، المهم ان أكون معك إنسانا هل يروقك هذا؟

–نعم يا سيد توماس يروقني الأمر

–والآن ما لذي أعادك إلى هذه المدينة بعد سفرك إلى مارسيليا؟

–وكيف تعرف هذا؟

–إننا نعرف كل شيء عن هذه المدينة ومنذ سنواتٍ

–ولكن من أنتم؟

–نحن الذين سنعيد للإنسان قدسيته"[31]

هذا الحوار الذي دار بين الشخصيتين يعطينا لمحة دقيقة عما يهدف إليه توماس كما أنه يبدوا ملما بتفاصيل المدينة من خلال كلامه، هذا النسق المضمر الذي تبين من خلال بحثنا عن هويته باعتباره شخصية حقيقية مرت على الجزائر، فبعد الصراع الديني بين الإسلام والمسيحية في نص الرواية برزت شخصية ثنائية الانتماء المسيحي والإسلام من خلال حمله لإسميين توماس (إسماعيل)، ودخوله في الإسلام وقد قال في حواره مع ديبون أنهم يعرفون كل شيء عن هذه المدينة يقول مصطفى عبيد "كان السانسيمونيون قد عرفوا الجزائر منذ عهد مبكر عن طريق الأب الروحي لهم أونفونتان حيث صرح سنة 1834: إنني أعرف الجزائر التي زرتها ورحلت إليها وقطنت بها خمس سنوات من شبابي. "[32] يبدوا أن هذه الطائفة الفكرية كانت تعرف الجزائر تمام المعرفة.

حوار الشخصيات كان ذكيا بلقاء إسماعيل توماس بالصحفي ديبون لأنهم كانوا يهتمون بالإعلام اهتماما بارزا، حتى أنه سّلم ديبون جريدة الغلوب le Globe يقول" قبل قيامه مدّني بالجريدة التي كانت بيده وحين طالعت العنوان تذكّرتها، كانت جريدة (الغلوب) تصفّحتها، قد مرّ عليها أكثر من عام، وقدّر لي يومها لقاء أول السّيمونيين القادمين إلى الجزائر يبحثون عن مرفأ لهم من أجل تحقيق أحلام زعيمهم سان سيمون دائما كنت معجبا به، ولكن في وجود الملك لم أرَ جدوى من نشاطهم في باريس، وربما بقية الدُّول والآن أرى أن الجزائر في حاجة أليهم"[33] في بداية الرواية كانت شخصية ديبون معارضة لفكر كافيار ولكن بعد أن تم احتلال الجزائر، صادف السّيمونيين القادمين للجزائر وأصبح يرى بأن فكرهم يمكن أن يقلل من حجم المعاناة التي يعانيها سكان الجزائر، إن دلالة لقاء ديبون بشخصية توماس إسماعيل وجدنا لها رابطا تاريخيا لدى شخصية توماس إسماعيل يقول مصطفى عبيد "وجد الأُنس في العائلة السانسيمونية التي كان قد سمع عنها الكثير عن طريق زملائه، وتأثّر بأفكارها بعد أن أطلعوه على LE GLOBE في العدد الصادر بتاريخ 20 أفريل 1832، والتي قرأ بها نداء القديس سيمون « SAINT-SIMON »: اهتزت العروش، تمزقت الأسر، اختفى الحب والملوك، دين جديد، سياسة جديدة، أدب جديد، هذا ما أحمله إليكم، وأنا الوحيد الذي يمكن أن يقدّم لكم، لأنكم أحببتموني وأنا أحبكم ... هذا أعظم يوم منذ 18 قرنا، هذا اليوم الذي توفي فيه محرّر العبيد الخالد، ولكي نحتفل بهذا اليوم المجيد سنبدأ عملنا المقدّس وليختف من بيننا آخر أثر من الرّق والعبودية"[34] إن تأثر توماس إسماعيل بهذا الخطاب نجده يتكرر عند شخصية ديبون الذي التقاه بطريقة غامضة غير أن الجريدة التي منحها إياه وضحت له الرؤيا، يقول ديبون "تأبطت الجريدة ورحلت إلى الفندق، قلبت صفحاتها، كل صفحة كانت تزيد من إعجابي بنداءات القديس سيمون، حَوَت المبادئ الأولى للمذهب الجديد، كم فتنني أُسلوبه ومعانيه، إنه فعلاً تجلٍ للمُخلّص في هذه المدينة، قرأت المبادئ وكررتها توقفت عند بعض جملها طويلا، كان أثرها قويا على نفسي، نعم المجد لك يا سان سيمون، اذا كانت فعلا هذه الكلمات صادرة من روحك، فسأكون سيمونيا مُخلصا، أسهر مع المبادئ بقية اللّيل، فتطالعني الجُمل المليئة بالمعاني الإنسانية (اهتزت العروش، وتمزقت الأسر، واختفى الحبُّ والملوك دين جديد وأدب جديد وسياسة جديدة ... وليختف بيننا آخر أثر للرّق و العبودية)"[35] إن هذا الخطاب نتج عن وضع مزر كانت تعيشه أوروبا في فترة أنحطت فيها القيم وبرزت العبودية والمؤامرات السياسية واستغلال هذا النص في رواية الديوان الإسبرطي، ما هو إلا بسبب انحدار القيم والعبودية والاحتقار التي كرستها الدولة العثمانية

وجاءت فرنسا لتكمل المسار، ويبدوا أن شخصية ديبون انجذبت لهذا الخطاب كما انجذب إليه توماس أوروبان قبل انضمامه لعائلة القديس سان سيمون، انها نفس النقطة التي تحول فيها مسار توماس إسماعيل تتكرر لدى شخصية ديبون "أين كنت غائبا أيها المبجَّل سان سيمون؟ أقف وأشرع النّافذة كأنني أبحث عن توماس في الشارع ...، الآن فقط يمكن لأهالي المحروسة انتظار السيمونيين ليشيّدوا معالم مجتمع جديد يعمّه السّلام والمساواة مع الفرنسيين وكل الأوروبيين يكون العمل جماعيًا، والرِبح يتقاسمه الجميع بعدل، ليت ابن ميّار معي الآن، فيقرأ كيف يسعى هؤلاء إلى تقديس الإنسان، السيمونيون هم مستقبل الجزائر "[36] ما يقول به ديبون نابع من مشاعره اتجاه الشعب الجزائري، فكثيرا ما صادفت الجزائر أشخاصا أجانب يتعاطفون معها، وترى هذه الشخصية أن في هذه المرحلة بالذات يجب على الجزائريين والفرنسيين الالتفاف حول الفكر السيموني لأنه يربط بين الشرق والغرب ويوحِّد الإنسانية، ويفكك النزاعات المتوارثة عن الأديان ويعمل على بناء مجتمعات متساوية تصلها المشاريع الكبرى، يقول أبو القاسم سعد الله "منذ العشرين من عمره اعتنق إسماعيل مبدأ السانسيمونية وتأثر بالحركة الرومانتيكية التي كانت تسيطر على الرأي العام الفرنسي، في سنة 1833 رافق أونفنتان إلى مصر لإقامة التجارب التشاركية التي يؤمن بها السانسيمونيون في المجتمعات المتخلفة وقد تعرف على بعض الأصدقاء في مصر التي كان النفوذ الفرنسي فيها قويا أيام حكم محمد علي واكتشف الإسلام هناك واعتنقه وكان يؤمن ربما بأن السانسيمونية ستحقق له الربط بين الشرق والغرب وأنها ستؤدي إلى التوفيق بين المسيحية والإسلام ولما فشلت مهمة أونفونتان في مصر رجع (الجماعة) كل إلى ميدانه، فتوجه أصدقاء عربان إلى الجزائر ليحققوا فيها عن طريق الجيش الفرنسي ما عجزوا عن تحقيقه في مصر"[37] على ما يبدوا لنا أن توماس إسماعيل برّزت ميولاته الفكرية لهذه الطائفة منذ شبابه وأنه كان يحمل خطة بعيدة المدى، يسعى لتحقيقها وهي ربط الشرق بالغرب وقد جذبته الضفة الشرقية لها فأصبح مدافعا عنها.

يتعاطف أبو القاسم سعد الله مع توماس إسماعيل عكس الأحكام التي أطلقها عنه طالبه مصطفى عبيد في بحثه الجزائر في كتابات توماس (إسماعيل) أوروبان وهذا ما يتضح لنا حتى في التسمية؛ أبو القاسم سعد الله يسميه إسماعيل عربان أما مصطفى عبيد فيسميه توماس (إسماعيل) أوروبان، على غرار بعض الحقائق التي ضمنها في بحثه عن حياة وأفكار ومخططات توماس إسماعيل في الجزائر، يضيف أبو القاسم "كان إسماعيل عربان ربما أقرب الفرنسيين إلى المجتمع الجزائري فهو بحكم اعتناقه للإسلام ومعرفته اللغة العربية، قد جعل نفسه واحدا من هذا المجتمع يحس بإحساسه ويفهم تقاليده، وهو من جهة أخرى

سانسيموني، يؤمن بترقية المجتمع الأهلي وإخراجه من التخلف مع المحافظة على بعض قيمه في وجه الغزو الذي يتعرض له وفي سنة 1840م تزوج عربان من امرأة عربية من قسنطينة اسمها (جرمونة)، وعاش معها فترة طويلة في الجزائر العاصمة وأنجب منها بنتاً سماها (باية) وكان زواجه على يد القاضي المسلم، وعاش حياته مسلم العقيدة عربي المظهر واللسان"[38] إن ما دفعنا لتناول هذه الشخصية ببعدها السير ذاتي والتاريخي هي تلك الفترة من حياته التي كان يريد فيها الجمع بين ديانتين متنافرتين في فكر إنسان واحد وعمل على نشرها وفق رؤية سانسيمونية.

تمتلك هذه الشخصية جانبا ثقافيا واسعا من خلال كتابته للعديد من المقالات والقصائد والرسائل ويمتلك العديد من الكتب التي تُعنى بالتاريخ الفرنسي في الجزائر مثل كتاب" الجزائر للجزائريين l'Algérie pour les algériens "[39] وكتاب عنوانه:" الجزائر فرنسيةl'Algérie française "[40] كما استند مصطفى عبيد لبعض الأفكار الدينية المسيحية التي كان ينشرها أوروبان استمدها من كتاب توماس إسماعيل المعنون 'بالجزائر للجزائريين' يقول مصطفى عبيد:" يعتبر أوروبان–رغم اعتناقه الإسلام– من أنصار فكرة غرس الأفكار المسيحية في أذهان أطفال الجزائر ومعوزيها التي سار عليها الكاردينال لافيجري، والتي من أجلها خصّص الإمبراطور جزءاً من وقته للاطلاع على الحالة المزرية لهم ونقول هذا بعد أن دعا أوروبان إلى إنشاء الملاجئ للعجزة وأصحاب الأمراض المزمنة والمعتوهين واليتامى، هذه الفئة الأخيرة التي قال عنها تتكفل الإدارة بمنحهم دروسا دينية –مسيحية طبعا– باعتبارهم صفحة بيضاء نكتب عليها ما نشاء"[41] ما يتبين لنا هو أن أفكار إسماعيل توماس تتميز بطابع إنساني ذو بعد مسيحي/إسلامي لأنه عاش فترة من حياته مسيحيا ثم أسلم لفهم كيف يفكر الفرد المسلم اتجاه الفرد المسيحي والعدوان المسيحي على الأرض المسلمة يقول أبو القاسم في هذا الشأن "ومن رأي عربان أن الدين الإسلامي دين متسامح جدا وأن المسيحية هي التي جعلته دينا مناضلا من أجل البقاء ورأى أن ما كان يسّميه بعض الفرنسّيين بالتعصب الإسلامي عند العرب ما هو إلا شكل من أشكال الوطنية Patriotisme ورفض عربان فكرة إدماج الأهالي في الحضارة الفرنسية بل إنه كان يؤمن بفشل دمج الأعراق في بعضها، وكذلك دمج العادات و المذاهب الدينية "[42] من خلال هذه المقولة يكون توماس إسماعيل قد دعا إلى دمج المصالح المشتركة بين الفرنسيين والجزائريين وكان قد " رفض تقليد الحكم العثماني بالجزائر الذي يراه كغيره من أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية، حكما تيوقراطيا يتمتع فيه الحاكم بالسيادة المطلقة والإرادة التنفيذية والساهر الأول على تطبيق تعاليم الشرع والقرآن الكريم فيه وعلى ضوئه تبنى

السياسة فقال في ذلك: الحكومات التيوقراطية هي النموذج الذي تتبعه الدول الإسلامية في حياتها السياسية فشيخ الإسلام هو الحاكم وهو الذي بيده السلطة المطلقة وبالتالي التصرف المطلق في شؤون الدولة، كما أنه الساهر الأول على ترجمة تعاليم القرآن الكريم على أرض الواقع"[43] إن هذا التشريح لسياسة العثمانية ناتج عن بصيرة شخص عارف بالمجتمع الجزائري آن ذاك، ولا يريد توماس إسماعيل أن تتكرر هذه الملاحظات مع الحكومات الفرنسية "كما انتقد أوروبان، في الوقت نفسه، إدارة الاحتلال بشدّة معتبرا إياها قد عجزت عن تغيير الكثير من هذه الخصائص فأشار إلى أن شرف فرنسا ليس في مزيد من الهدم ولا في مصادرة ممتلكات الأهالي وإنما في الإرادة المثلى وإلحاقهم بالمدنية من خلالنا"[44] ما تقوله رواية الديوان الإسبرطي حول التاريخ مهم جدا وخاصة في الجانب الإنساني بتوظيف توماس إسماعيل الذي أراد منح الحرية للجزائريين تحت لواء الدولة الفرنسية ببناء شعب يعيش حياته وإنسانيته وحتى دينه

بعدها تراجع توماس أوروبان عن إسلامه يقول أبو القاسم سعد الله "يبدوا أنه ظل على إسلامه إلى أن أراد الزواج من امرأة فرنسية فكان عليه أن يعود إلى المسيحية ويتزوجها، وكان عمره إذاك خمس وخمسين سنة وقيل أنه أدخل ابنته في المسيحية أيضا"[45] عودة توماس إلى المسيحية كانت هي نهاية مهمة له بالنسبة لمصطفى عبيد غير أنه لا يشكك في إسلامه وكذلك هذا ما نفهمه من وجهة رأي أبي القاسم سعد الله أما في الرواية فإننا نفهم منها أن مشروعه كان مهما جدا ورابطا مهما للحروب الدينية كما أكد على وجود أرضية يمكن أن يتحاور فيها المسلم والمسيحي والتعايش فيما بينهما، تُقدس الإنسان وتضعه في مكانة رفيعة يقول ديبون" ولكن يدا امتدّت وشدّت على ساعدي، سحبتني بعيدا عن هناك، ثم سرنا مسافة حتى بلغنا البحر، أزرق ممتدًا وهمس لي توماس:

–لا تنظر إلى الأمور بذاتية يا ديبون، إني أراك تُحيي مجد الإنسان، وهذا يحتاج الصبر والأناة زمنا طويلًا من أجل تحقيق أهدافنا، ألم تقرأ هذا في مبادئه؟

أومأت له برأسي موافقا ثم تأملت الزرقة أمامي وقلت:

- نعم إنك محقُ، كي نُغيّر العالم نحتاج إلى أفكارٍ كبيرة نؤمن بها، ونُقبل على الموت في سبيلها بسعادة"[46]

في نهاية ظهور شخصية توماس إسماعيل سماه ديبون بتوماس لأنه تراجع عن إسلامه وعاد لمسيحته غير أن مشاريعه وأفكاره يقول أبو القاسم سعد الله "ولكن أراء عربان وكتاباته وجدت معارضة شديدة من الكولون ومن الحكام العامين في ذلك الوقت 1870/1860 وحتى في بعض زملائه السانسيمونيين

وغيرهم من الكتاب والساسة فهذا وارنييه كان يهاجمه بطريقة غير مباشرة وكان يصفه بالمرتد والملون، وبأنه يريد فرض أفكاره الضيقة رغم أنه شخص من الدرجة الثانية"[47] إن فكر توماس إسماعيل مهم جدا في تاريخ الحروب الدينية وخاصة في التاريخ الجزائري هذا ما خلق له أعداء كثر من الفرنسيين ومن أصحابه المتشبعين بالفكر السانسيموني.

خاتمة:

إن ما نستنتجه في بحثنا هذا من خلال دراستنا للخطاب الديني والفكر السانسيموني في رواية الديوان الإسبرطي:

– ارتباط الغزو الأجنبي للجزائر بدوافع دينية، وكان الجزائري مغيبا في كتب التاريخ فقد كانت شخصيته مخفية ومرتبطة بالقوة التي تسيطر عليه، ولكن رواية الديوان الإسبرطي أفسحت المجال للآنا الجزائرية بالظهور والتعبير عن كينونتها فيما يخص واقعها والدفاع عن مقولة الجزائر للجزائريين

– من دراستنا لرواية الديوان الإسبرطي نجد بأن الوجود العثماني لا يختلف عن الوجود الفرنسي فالاستبداد كان قائما منذ العثمانيين الذين استغلوا الدين من أجل إخضاع الجزائريين أما الفرنسيين فقد كان دافعهم تدمير الجزائر بكل أبعادها الثقافية والدينية والفكرية.

– في الشق الثاني من البحث استخراجنا الفكر الوسطي في الرواية، فشخصية توماس إسماعيل أوروبان اعتبرته كل الدراسات بأنه رسول السانسيمونيين في الجزائر والذي حاول الجمع بين القطبين الشرقي والغربي وإعطاء رؤية فكرية وفلسفية قوامها التعايش من خلال التنظير لطريقة الحكم التي كان يجب أن تمارسها فرنسا في الجزائر.

هوامش:

[11] إيريش فروم: كينونة الإنسان، تر: محمد حبيب، ط1، (2013) دار الحوار للنشر والتوزيع(سورية)، ص161

[2] المرجع نفسه ص 172

[3] المرجع نفسه ص173

[4] كارل ماركس: فريدريك انجلس، حول الدين، تر: ياسين الحافظ، ط 1، (1973) دار الطليعة للنشر (لبنان)، ص 33

[5] عبد الوهاب عيساوي: رواية الديوان الإسبرطي ط1، (2018)، دار ميم للنشر(الجزائر)، ص22

[6] نبيل فياض وآخرون: نيتشه والدين، ط1، (1993)، ابكالو للنشر والتوزيع(سورية)، ص31

[7]هيجل: تكوينة الوعي الإنساني والديني، من دروس فلسفة الدين لهيجل، تر: أبي يعرب المرزوقي، ط1، (2015)، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة مشروع كلمة (الإمارات المتحدة)، ص 29

[8]رواية الديوان الإسبرطي ص 65

[9]آلبير كامو: الإنسان المتمرد، تر: نهاد رضا، ط3، (1983) منشورات عويدات (بيروت – باريس)، ص 135

[10]المرجع نفسه، ص 137

[11]مارتن هيدغر: الكينونة والزمان، تر: فتحي المسكيني، ط1، (2012) دار الكتاب الجديد (لبنان)، ص65

[12] هشام جعيط: أوروبا والإسلام صدام الثقافة والحداثة، ط2، (2001)، دار الطليعة (لبنان)، ص16

[13]المرجع نفسه، ص 06

[14]رواية الديوان الإسبرطي، ص 34

[15]رواية الديوان الإسبرطي ص 39

[16]أندرو ديكسون وايت: بين الدين والعلم تاريخ الصراع بينهما في القرون الوسطى، تر: إسماعيل مظهر، ط1، (2014) مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة (مصر)، ص 13

[17]رواية الديوان الإسبرطي ص 41

[18]أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول 1830/1500، ط1، (1998)، دار الغرب الإسلامي (بيروت)، ص139

[19]المرجع نفسه، ص 140

[20]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ص 141/140

[21]مولود قاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية، قبل سنة 1830، ط2، (2007)، دار الأمة للنشر(الجزائر)، ص 64

[22] رواية الديوان الإسبرطي ص 218

[23]رواية الديوان الإسبرطي ص 218

[24]أندرو ديكسون وايت: بين الدين والعلم تاريخ الصراع بينهما في القرون الوسطى، ص 14

[25]محمد عابد الجابري: مسألة الهويّة العروبة والإسلام...والغرب، الطبعة 4، (2012)، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت)، ص 112

[26]رواية الديوان الإسبرطي، ص 323

[27] د.محمد صاحبي: السانسيمونيون وحملة وصف الجزائر، رونيه باصي René basset أنموذجا، حولية الآثاريين العرب دراسات في أثار الوطن العربي، مصر، المجلد 19، العدد 19 سنة 2016، ص 4

[28] ميشال فيريّه: الماركسيّون والدّين، تر: خضر خضر، ط1، (1987)، دار الطليعة (بيروت)، ص 147

[29] محمد صاحبي: السانسيمونيون وحملة وصف الجزائر، ص 05

[30] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1954/1830، ج6، ط1، (1998)، دار الغرب الإسلامي (لبنان)، ص 437

[31] رواية الديوان الإسبرطي، ص 323

[32] مصطفى عبيد: الفكر الاستعماري السُّانسيموني في مصر والجزائر 1870/1833م، ط1، (2013)، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع (الجزائر)، ص30

[33] رواية الديوان الإسبرطي، ص324/323

[34] مصطفى عبيد، الجزائر في كتابات توماس (إسماعيل) أوربان1884/1812 دراسة تاريخية تحليلية، 2008، ماجيستير، جامعة الجزائر / الجزائر ص 17

[35] رواية الديوان الإسبرطي، ص324

[36] رواية الديوان الإسبرطي ص324

[37] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1954/1830، ج6، ص442

[38] المرجع نفسه، ص443/442

[39] مصطفى عبيد: الفكر الاستعماري السّانسيموني في مصر والجزائر، ص 105

[40] المرجع نفسه ص 117

[41] المرجع نفسه ص 114

[42] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1954/1830، ج6، ص445

[43] مصطفى عبيد: الفكر الاستعماري السّانسيموني في مصر والجزائر، ص 146

[44] المرجع نفسه ص 146

[45] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1954/1830، ج6، ص443

[46] رواية الديوان الإسبرطي

[47] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1954/1830، ج6 ص446

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1.عبد الوهاب عيساوي، رواية الديوان الإسبرطي ط1، الجزائر، دار ميم للنشر، سنة 2018

المراجع:

1.إيريش فروم، كينونة الإنسان، تر: محمد حبيب، ط1 سورية، دار الحوار للنشر والتوزيع سنة 2013

2.كارل ماركس، فريدريك انجلس، حول الدين، تر: ياسين الحافظ، ط 1، بيروت لبنان، دار الطليعة للنشر، ماي 1973

3.نبيل فياض وآخرون، نيتشه والدين، ط1، دمشق سورية، ابكالو للنشر والتوزيع، 1993

4.هيجل، تكوينة الوعي الإنساني والديني، من دروس فلسفة الدين لهيجل، تر: أبي يعرب المرزوقي، ط1، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة مشروع كلمة، سنة 2015
5.آلبير كامو، الإنسان المتمرد، تر: نهاد رضا، ط3، بيروت – باريس، منشورات عويدات، سنة 1983
6.مارتن هيدغر، الكينونة والزمان، تر: فتحي المسكيني، ط1 بيروت لبنان، دار الكتاب الجديد، سنة 2012
7.هشام جعيط، أوروبا والإسلام صدام الثقافة والحداثة، ط2 بيروت، دار الطليعة، ماي 2001
8.أندرو ديكسون وايت، بين الدين والعلم تاريخ الصراع بينهما في القرون الوسطى، تر: إسماعيل مظهر، ط1، مصر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، سنة2014
9.أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول 1830/1500، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، سنة 1998
10.مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية، قبل سنة 1830، ط2، الجزائر، دار الأمة للنشر، سنة 2007
11.محمد عابد الجابري، مسألة الهويّة العروبة والإسلام...والغرب، الطبعة 4، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سبتمبر 2012
12.ميشال فيريّه، الماركسيّون والدّين، تر: خضر خضر، ط1، بيروت، دار الطليعة، يونيو 1987
13.أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي 1954/1830، ج6، ط1، بيروت لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1998
14.مصطفى عبيد، الفكر الاستعماري السُّانسيموني في مصر والجزائر 1870/1833م، ط1، الجزائر، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، سنة 2013م

الدوريات والمذكرات:

1.مصطفى عبيد، الجزائر في كتابات توماس (إسماعيل) أوربان1884/1812 دراسة تاريخية تحليلية، مذكرة لنيل درجة الماجيستير في التاريخ المعاصر جامعة الجزائر، إشراف أبو القاسم سعد الله، السنة الجامعية 2008م
2.محمد صاحبي، السانسيمونيون وحملة وصف الجزائر، رونيه باصي René basset أنموذجا، حولية الآثاريين العرب دراسات في أثار الوطن العربي المجلد 19، العدد 19 سنة 2016